

**الأديب المسلم وقضية الالتزام في الأدب**  
**AL-ADIB AL-MUSLIM WA QADHIYAH**  
**AL-ILTIZAM FI AL-ADAB**

*Yaqub Alhaji Abdullahi*

Department of Arabic University of Ilorin Nigeria

Email: yaqub.abdullahi@yahoo.com

### الملخص

يخضع الأديب في تكوين شخصيته الأدبية لكثير من المؤثرات البيئية والاجتماعية والثقافية والعقدية والاقتصادية والسياسية، كما ينطلق في مزاولة فنه الأدبي من خلال المكونات التي أثرت فيه والخبرات التي حنكته. الأمر الذي يضطره في كثير من الأحيان إلى اتخاذ فكرة من الفكر أو مبدأ من المبادئ أو معتقد من المعتقدات يلتزم به فيما ينتجه من الآداب، لا يحيد عنه ولا يخالفه، بل قد يجاهد مدافعا عنه. وبهذا صارت قضية الالتزام في الأعمال الأدبية مما لا بد منه للأدباء، سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا به، لكن الالتزام يختلف من أديب إلى آخر ومن مذهب إلى مذهب. ففي الحين الذي يتسم الالتزام في بعض المذاهب الأدبية بالإلزام والإكراه نجده لدى البعض يتحدد بالإقناع والطوعية. فالبحث محاولة إعطاء فكرة عامة عما ينتظر من أديب مسلم في إنتاجاته الأدبية، وذلك أن تكون أفكاره انعكاسا لمفهوم الإسلام وتصوره، وقد ناقش البحث الجوانب التالية: مفهوم الالتزام في الأدب والتزام الأديب المسلم وتصوره للخالق والإنسان والكون والحياة كما نظر في موقف الإسلام من العلاقة بين الجنسين. واستنتجت الدراسة أن نظرة الأديب المسلم في فنه الأدبي متمسك بالالتزام الإسلامي الشامل في كل ما يكتب فيه من المواضيع، وهو يشعر في التزامه هذا بالإقناع والنشوة، كما يجعل في حسبانته أن عمله الأدبي مما يحاسب عليه

أمام خالقه، فلم يكن مغترا يوما بحرية مزعومة عند بعض الأدباء حتى يخوض فيما يحرم عليه من الأقوال والأفكار.

### Abstract

*A litterateur (a person who is knowledgeable about literature) is made of different societal influences such as social, religious, economic, and politic. He is merely a reflection of his background, which is why in most cases, when he writes he seems to be committed to certain belief, ideology, and group. Thus, the issue of commitment to a certain belief, ideology can not be out-ruled in literary work. Commitment differs from one individual to another. It is characterized with force or choice and appreciation in accordance to differed school of thought (mazhab). This research gives a general out-look of what is expected of a Muslim persona in his writing or works. To achieve this objective, the study focuses on the following; the term commitment in literary work, commitment of a Muslim litterateur, his view about Allah, man, life, and the entire world. The findings of this study reveal that a Muslim litterateur is committed to Islamic values in his works and shows satisfaction and with such values attached he never writes against the Islamic teachings by hiding under so called freedom of speech.*

**Keywords:** Commitment issue; literature; Muslim litterateur

### المقدمة

الأدب الإسلامي كما عرفه بريغش: هو التعبير الفني الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التصور الإسلامي (بريغش، ١٩٩٦ م: ١١٤). وعند الباشا، هو التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته (الباشا، ١٩٩٨ م: ١١٣).

انطلاقاً من التعريفين السابقين نفهم أن الأدب الإسلامي هو الأدب الذي أنتجه أدباء ملتزمون بالإسلام وفق التصور الإسلامي الصحيح للإنسان والحياة والكون، ويستوعب هذا الأدب الحياة بكل ما فيها، ويتناول شتى قضاياها ومظاهرها ومشاكلها. وليس أدب فترة ولا مكان، وإنما هو أدب عالمي، يشمل كل ما أنتج من هذا النوع في بلاد الإسلام وخارجها، كما يشمل كل ما أنتج باللغة العربية وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية (الكيلاني، ١٩٨٧ م: ٢٦).

### مفهوم الالتزام في الأدب

لقد نشأت قضية الالتزام في الأدب منذ القرن العشرين الميلادي عند قيام الدولة الشيوعية في الاتحاد السوفيتي، وذلك أن أقطاب الشيوعية أدركوا أثر الفنون بعامة والأدب بخاصة في بناء المجتمعات، ومن ثم فقد حرم على كل أديب أن ينتج أي لون من ألوان الأدب يعارض المذهب الذي اعتنقته الدولة وارتضته للشعب. فالالتزام الشيوعيين يقوم على الدفاع عن مبادئ الدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية سواء آمن بها الأديب أم لم يؤمن (الباشا، ١٩٨٥م: ١٢٠).

ولم تقتصر نظرية الالتزام في الأدب على الشيوعيين، وإنما نادى بها الوجوديون أيضاً. فالالتزام لدى الوجوديين يقوم على القناعة النابعة من ذات الأديب بما يعبر عنه، ومن ثم كان للأديب مطلق الحرية في أن يختار الموقف الذي يطمئن إليه ويلتزم به، وأن يجعل نفسه مسئولة عنه أمام نفسه (هلال، ٢٠١٢م: ٥٥٤).

### الالتزام عند العرب قبل الإسلام

كان الالتزام عند العرب في العصر الجاهلي ذا منحى قبلي، أي أن مادته من قبيلة الشاعر ولاء لها واعتزازا بأمجادها وافتخارا بأيامها، والتزاما بأعرافها وتقاليدها. حيث يقوم الشاعر الجاهلي بدور الدائد عن قبيلته، وله الرأي المقبول في الحرب والصلح، فعليه المسؤولية العظمى يحملها ويحميها عن قومه (النحنين، ١٩٨٧م: ٣٣).

### التزام الأديب المسلم بالإسلام

فالالتزام الإسلامي هو أن يصدر الأديب المسلم فيما ينتج من الآداب من خلال نظرة الإسلام للخالق ومخلوقاته، وهو التزام ينبع من دين الإسلام وعقيدته ومن رغبة الأديب في مرضاة الله والطمع في ثوابه والخشية من سخطه وعقابه (عبد الله، ٢٠١٧م: ١٨٠). وبهذا فقد تم التزام الأديب المسلم قبل ثلاثة عشر قرناً وربع القرن من قيام الدولة الشيوعية، ودعوتها إلى الأخذ بمبدأ الالتزام في الأدب، وذلك منذ نزلت الآيات الكريمة: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧

ويوضح شراد خاصية من خصائص الالتزام الإسلامي، وهي أنه التزام يتسم بالحرية، إذ الحرية الحقيقية هي ألا تعبد أحداً إلا الله، وألا تكون أسير شخصية أو فكرة أو مصلحة أو مال إلا بمقدار اتصال هذه الشخصية أو تمثيل تلك الفكرة أو توظيف تلك المصلحة أو المال للخالق البارئ المصور. (شراد، ١٩٨٩م: ٥)

وقد نشأ الأدب الإسلامي في حضن رسول الله ﷺ في المدينة ملتزماً بالإسلام، وعاش ملتزماً به طوال تلك القرون التي قد خلت. ولقد أعلن الشعراء المسلمون منذ فجر الإسلام التزامهم بالإسلام. استمع إلى نوفل بن الحارث وهو يخاطب المشركين:

إليكم إليكم إنني لست منكم \* تبرأت من دين الشيوخ الأكابر  
لعمرك ما ديني بشيء أبيعه \* وما أنا إذا أسلمت يوماً بكافر  
شهدت أن النبي محمداً \* أتى بالهدى من ربّه والبصائر  
وأن رسول الله يدعو إلى التقى \* وأن رسول الله ليس بشاعر  
على ذلك أحيا وأبعث موقنا \* وأثوى عليه ميتاً في المقابر

(الباشا، ١٩٨٥م: ٢٢٧)

فالشاعر كما ترى يتبرأ من دين الآباء والأجداد ويعتنق الدين القيم، وهو يلتزم به حياً وميتاً، فبه يواجه الناس في الدنيا ويلقى الله في الآخرة، وعلى شرعته يثوى في المقابر. وهذا شاعر آخر يلتزم بالإسلام بعد أن طلق صنمه، يقول:

تبعث رسول الله إذ جاء بالهدى \* وخلفت فراضاً بدار هوان  
شدت عليه شدة فتركته \* كأن لم يكن، والدهر ذو حدثان  
فلما رأيت الله أظهر دينه \* أجبت رسول الله حين دعاني  
فأصبحت للإسلام ما عشت ناصراً \* وألقيت فيه كل كلي وجراني  
فمن مبلغ سعد العشيرة أنني \* شرعت الذي يبقى بأخر فان

(الباشا، ١٩٨٥م: ١٥٧)

إن صاحب هذه الأبيات هو ذوبان بن الحارث السعدي وحين أشرق نور الإيمان في نفسه هب إلى صنمه (فراض) فجعله هباءً منثوراً، ومضى إلى دار النبوة في المدينة، وألقى رحله فيها وأقام في رحاب النور والهدى. وهل فوق هجرة الشاعر قومه والاستقرار في ديار العقيدة الإسلامية من التزام؟

وهكذا يتوقع من كل أديب مسلم أن يكون ملتزماً بالإسلام في كل ما يقول، وما يتوقع منه بأية حال أن يتحرر من الإسلام أو يلعب بمقدساته بدعوى أنه أديب أو فنان على نحو أنكار أبي نواس لبعض معتقدات الإسلام في البيتين التاليين:

يا ناظر في الدين ما الأمر \* لا قدر صح ولا جبر  
ما صح عندي من جميع الذي \* يذكر إلا الموت والقبر

(ابن منظور، د.ت)

فهو منكر ما دون الموت والقبر من القدر والبعث والحساب والجنة والنار وغير ذلك. وهو المجترئ على إظهار سيئاته والمستهزئ بقدسية الصلاة والصوم مستخفاً بهما في أبياته التالية:

عاذ لي فيها أطعني \* وأقل الآن لومي  
واشرب الراح ودعني \* من صلاة كل يوم  
وإذا ما حان وقت \* لصلاة أو لصوم  
فارفع الصوم بشرب \* وأمزج الخمر بنوم  
أبدا ما عشت خالف \* دأب قوم بعد قوم

(أبو نواس، د.ت: ٢٠٥)

فهذا الشاعر مسلم لكنه لم يكن ملتزماً بدينه في أدبه كما ترى. فهو مدمن للخمر طول حياته، لاه عن الصلاة والصوم، وهو يحض القارئ على اشتراكه في هذا الإثم. ومن الشعراء المسلمين غير الملتزمين بالإسلام في أدبهم أبو العلاء المعري الذي له آراء كثيرة تخالف مفهوم الإسلام. ونذكر هنا رأيه الخاطيء في خلق الإنسان، حيث يزعم أن الله قضى بتعذيبه في هذه الحياة، وأنه لا خلاص له من هذا العذاب إلا الموت، فهو في الراحة بعد الموت:

قضى الله أن الأدمي معذب \* إلى أن يقول العالمون به: قضى  
فهنيئاً ولاة الميت يوم رحله \* أصابوا تراثاً واستراح الذي مضى

(المعري، ١٩٦١م: ٧٢)

ليس الأمر كما صوره عقل أبي العلاء، فالإنسان ليس معذباً، ولا حياته مليئة بالعناء، بل وفرّ الله له في دنياه أدوات التمتع وسبل المعيشة تلبي حاجاته ومتطلباته الحيوية. قال الله تعالى حكاية عن رجل مؤمن من قوم فرعون: ﴿ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ

الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ غافر: ٣٩.

وليس كل من مات صائرا إلى الراحة، وإنما مرجع الإنسان بعد الموت يكون بحساب ما قدّم من الأعمال. قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْتَغِيهَا وَتَرَهَّقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴿يونس: ٢٦ - ٢٧﴾

وممن لم يلتزم بالإسلام في شعره الشاعر العباسي صالح عبد القدوس، الذي ظهرت الزندقة في شعره، ومن ذلك اتهامه النبي ﷺ بغصب زوجة أحد أصحابه، حيث يقول:

غصب المسكين زوجته \* فجرت عيناه من درر  
عذت بالله اللطيف ربنا \* أن يكون الجور من قدر  
(المعتز، د.ت: ٨٢)

فالشاعر يشير إلى زواجه ﷺ بحليلة زيد بن حارثة بعد الطلاق الذي كان بأمر من الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ. الأحزاب: ٣٧ - ٣٨، وكان ذلك لتشريع حكم إلهي وإبطال ما كان سائدا في الجاهلية من عادة التبني. فدعوى الشاعر في هذين البيتين يظهر مدى عدم التزامه بالإسلام، فلا هو يراعي ما يقول عن الله سبحانه وتعالى، ولا عن نبيه ﷺ.

ومن خلال الالتزام المطلوب من الأديب المسلم توظيف أدبه في نشر الأخلاق الإسلامية وإعلاء غرائز الإنسان والسمو بنفسيته، وألا يكون أدبه سببا من أسباب الانحلال الخلقي، بل هو مطالب بهذا الالتزام في كل ما ينتج، فإذا هيّج فكره مثلا في القول عن الخالق سبحانه وتعالى أو عما يتعلق به من الصفات والأفعال يجب عليه أن يكون ملتزما بالإسلام في تصورات عنه سبحانه وتعالى.

### تصور الأديب المسلم للخالق عز وجل

إن تصور الأديب المسلم للخالق هو التصور الإسلامي لله سبحانه وتعالى، وهو تصور بريء من انحرافات اليهود والنصارى، وبعيد عن انحرافات المنحرفين في كل عصر ومكان. وذلك التصور يقوم على طائفة من الأسس، منها أن الله موجود، وأن جميع ما عداه من الموجودات إنما هو من بديع صنعته، وأنه ظاهر الوجود، وما من مخلوق إلا وفيه شاهد على وجود الله وقدرته، وتظهر هذه الصفات في قول أبي العتاهية:

أيا عجا كيف يعصى الإله \* أم كيف يجده الجاحد

ولله في كل تحريكة \* وتسكينة أبدا شاهد  
وفي كل شيء له أية \* تدل على أنه واحد  
(ضيف، ٢٠٠٧ م: ٢٤٢).

وهو تبارك وتعالى مالك الملك المتصرف بالأمر والنهي، والمعبود بالحق، الواحد الأحد، ليس له شريك، له كل شيء وله الحكم، فاعل لما يريد. لنسمع إلى النعمان بشير مصورا هذا الجانب:

كل شيء سوى الملك يبيد \* لا يبيد المسبح المحمود  
مالك الملك لا يشركه فيه \* وله الحكم فاعلا ما يريد  
وله الجاريات في لجج البعد \* ر فمناها مواخر وركود  
وله الطير في السماء تراهن \* قريبا ودونهن صعود  
ليس لله ذي المعارج فيمن \* تحمل الأرض والسماء نديد  
(الباشا، ١٩٨٥ م: ١٢٥)

وهو سبحانه وتعالى يعلم همسات النفوس وخلجات القلوب، إليه الملجأ في الشدائد، وهو الرزاق الوهاب، ومن ذلك قول السيهي الأندلسي:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع \* أنت المعد لكل ما يتوقع  
يا من يرجى للشدائد كلها \* يا من إليه المشتكى والمفزع  
يا من خزائن رزقه في قول كن \* أمنن فإن الخير عندك أجمع  
(الباشا، ١٩٨٥ م: ١٢٥)

ومن الجوانب التي يقف فيها الأديب المسلم موضحا حقيقتها ويردد ضرورتها موضوع توحيد الله واستحقاقه للعبادة وحده على وجه الإخلاص واليقين، وهو ما ألمحنا في أبيات أحمد مخيمر إذ يجلو صورة التوحيد وينفي عن الله الند والشريك بقوله:

رباه إنك أنت الواحد الأحد \* والجوهر الفرد لا حد ولا أمد  
وكل شيء فعلم الله موجوده \* وأنت وحدك بالأسباب تنفرد  
يا كامل الذات والأشياء ناقصة \* تعنو إليك من النقص الذي تجد  
سبحان ذاتك لا ند ولا مثل \* ولا شبيهه، ولا جزء ولا عُدُّ  
(القاعود، ٢٠٠٧ م: ٧٤)

ويؤكد الشاعر محمود حسن إسماعيل معنى التوحيد والاستسلام لله سبحانه والانقياد لعبادته وحده، وأن ذلك هو الأمان والاطمئنان للحقيقة الإنسانية التي خلقت لعبادته جل وعلا، وأن الجحود والانصراف عن التوحيد والعبادة لله تعالى يجر الإنسان

إلى الذل والخوف والخسران. وإذا كانت العبادة فطرة في الإنسان، فمن أبي وانصرف إلى عبادة غير الله تعالى من الطواغيت فستكون عبادته وعمله سرايا وهباء منثورا، إذ يقول:

قل لمن أحنى لغير الله رأسه \* ولمن صبّ لغير الله كأسه  
خائفا يشرب من كفيه نفسه \* ومن الذلة لا يدرك حسّه  
لست حيا، إن توهمت الوجودا \* سادة هشوا على الأرض عبيدا  
اسأل الذات تجد فيها السجودا \* لسوى الله رياحا وحصيدا

(الشنطي، ٢٠٠٥ م: ٢١٤).

فهذه المعاني كلها موافقة لمفهوم الإسلام للخالق سبحانه وتعالى. وتوجد جوانب أخرى كثيرة يستطيع الأديب أن يسهم فيها بفنه مظهرا صنعه تعالى وصفاته القدسية، مثل منّه على الإنسان بالعلم والعقل والرزق، وحفظه له ليلا ونهارا سرا وجهرا، وتوفيره سبحانه وتعالى له حوائج الحيوية.

ومن واجب الأديب المسلم أن يتجنب في فنه انحرافات المنحرفين فيما يتعلق عن الله وقول كل ما لا يليق بذاته أو صفاته أو أفعاله، مثل إسناد صفة من صفاته تعالى إلى غيره الوارد في قول النمري في مدح هارون الرشيد:

إن المكارم والمعروف أودية \* أحلك الله منها حيث تتسع  
إذا رفعت أمرا فالله يرفعه \* ومن وضعت من الأقوام متضع

(ضيف، ١٩٧٨ م: ٢٩٣)

فالممدوح هو الذي يرفع ويضع من يشاء قبل أن يرفعه الله أو يضعه. فهذا فاسد ومخالف للمفهوم الإسلامي للخالق الظاهر في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران: ٢٦

ومما يخالف ظاهر مفهوم الإسلام إسناد المشيئة والقدرة لغير الله ونفي القدر، الظاهر في قول ابن هانئ الأندلسي في مطلع القصيدة التي مدح بها المعتز:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار \* فاحكم فأنت الواحد القهار

(الإسكندري، ١٩١٦ م: ٣٩٧)

فقد جعل الشاعر ممدوحه منازعا للأقدار، فلا يكون شيء إلا ما شاء المعتز، بل جعل ممدوحه في ظاهر قوله: الواحد القهار إلها آخر، فهذه الصفات مخالفة لمفهوم الإسلام، ولا يتوقع صدوره من أديب مسلم، وسواء آمن الشاعر بما قاله أم لا، فقد أخطأ الصواب.



ومن التصورات الإسلامية التي لا تليق بالخالق تشكيك أبي العلاء المعري في قدمه تعالى وكونه بلا زمان ولا مكان في قوله:

قلتم لنا خالق قديم \* صدقتم هكذا نقول  
زعمتموه بلا زمان \* ولا مكان ألا فقولوا  
هذا كلام له خبيء \* معناه ليس لنا عقول

(العقاد، د.ت: ١٥٠)

فالمعري أديب مسلم وفلسفي معروف لكنه غير ملتزم بالإسلام في هذه الأبيات، ولا ندري ما ذا جره إلى سوق هذه المعاني، هل كان من أثر فلسفته أو تشاؤمه أو شيء آخر؟ ومهما كان الأمر فقد جانب الصواب، فالله لا يعبد بالعقول بل شرعه بنصه منقول. وكما يجب للأديب المسلم أن يكون ملتزماً بالإسلام في تصوراتهِ للخالق سبحانه وتعالى يجب عليه كذلك أن يكون ملتزماً في تصوراتهِ للإنسان فلا يضع من قدره ولا يرفعه فوق درجته التي وهبه الله إياها.

### تصور الأديب المسلم للإنسان

ينطلق تصور الأديب المسلم للإنسان من مفهوم الإسلام، الذي يتمثل في أنه خلق ليحقق في حياته على وجه الأرض غاية، وهي إخلاص العباداة لله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ ﴾ الذاريات: ٥٦ ويسمو إلى ما خباً الله له من نعيم خالد، لكنه مع ذلك يعترف بلحظات تغلب الشهوات عليه وخضوعه للذرائل المحرمة عليه ارتكابها، ولكنه كلما وقع في واد الشهوات أو ظلم نفسه باجتناء ما حرم عليه أسرع إلى مولاه بالتوبة والإنابة، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ ﴾ آل عمران: ١٣٥

وليس للإنسان أن يجهر بذنوبه أو يتغنى بها بدعوى أنه أديب أو فنّان أو باسم حرية التعبير، فضلاً عن أن يدعو الجمهور إلى مشاركته فيها، فلا يسمح للإسلام للأديب أو أي إنسان بإظهار إثمه، قال الله تعالى: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨ ﴾ النساء: ١٤٨ إلا بقدر ما يتعظ به غيره، بأن يجعل من إظهار إثمه موعظة وعبرة للآخرين، مثل ما نلمس في قول معروف الكرخي وهو يئن من صراعه مع ذنوبه أنيناً يقطع نياط القلوب:

أي شيء تريد مني الذنوب \* شغفت بي فليس عني تغيب

ما يضر الذنوب لو أعتقتني \* رحمة؟ فقد علاني المشيب  
(الباشا، ١٩٨٥م: ١٤٠)

وهذا سعيد بن وهب يمضي إلى البيت الحرام مشيا على الأقدام ليغسل الذنوب بالتوبة:  
قدمي اعتورا رمل الكثيب \* وأطرقا الآجن من ماء القلب  
رب يوم رحتما فيه على \* زهرة الدنيا وفي واد خصيب  
فاحسباً ذاك بذا واصبرا \* وخُذاً من كل فن بنصيب  
إنما أمشي لأنني مذنب \* فلعل الله يعفو عن ذنوبي  
(الباشا، ١٩٨٥م: ١٤٠)

وفي الأبيات التالية صور الشاعر محمود سامي البارودي قوة العزيمة بإظهار الموقف الإيجابي للإنسان طلباً للتغيير بعدما كان عليه من الجمود والإخفاق والخيبة، يقول:  
من صاحب العجز لم يظفر بما طلبا \* فاركب من العزم طرفا يسبق الشها  
لا يدرك المجد إلا من هتفت \* به الحمية هزّ الرمح وانتصبا  
يستسهل الصعب إن هاجت حفيظته \* ولا يشاور غير السيف إن غضبا  
ينهل صارمه حتفا ومنطقه \* سحرا حللا إذا ما صال أو خطبا  
إن حل أرضا حمى بالسيف جانبها \* وإن وعى نبأة من صارخ ركبا  
(القاعود، ٢٠٠٧م: ١٩٢)

فعلى الأديب المسلم أن يعتني بجانب النموذج الإيجابي للإنسان، بأن يصوره مثلا أعلى للإنسانية، بعرض استقامته وعدله وصدقته وحبه وكرمه وعفوه، وكل ما يجعله قدوة حسنة لغيره يقتدى به في المجتمع، وإذا كان من يصور رئيسا مثلا، أبدى عدله وأمانته وحبه للرعية، كما ورد هذه المواصفات في عمرية حافظ إبراهيم:

راع صاحب كسرى أن رأى عمرا \* بين الرعية عطلا وهو راعيها  
وعهده بملوك الفرس أن لها \* سورا من الجند والأحراس يحميها  
رأه مستغرقا في نومه فرأى \* فيه الجلالة في أسمى معانيها  
وقال قولة حق أصبحت مثلا \* وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها  
أمنت لما أقتم العدل بينهمو \* فنمت نوم قرير العين هانها  
(القاعود، ٢٠٠٧: ١٨٤)

والإنسان يفعل الخير كما يفعل الشر، وهذا بقدر اهتدائه إلى النهج المستقيم، أما القول إن الخير ليس من طبيعة الإنسان، وإنما طبيعته الملازمة له هي أن يفعل الشر، فقول يخالف تصور الإسلام، كما يبدو في قول أبي العلاء المعري:

قد فاضت الدنيا بأدناسها \* على براياها وأجناسها  
والشر في العالم حتى التي \* مكسبها من فضل عرناسها  
وكل حي فوقها ظالم \* وما بها أظلم من أناسها

(العقاد، د.ت: ١٥٠)

ومما يخالف التصور الإسلامي للإنسان ما أورده وليد قصاب من قول المتنبي في تحقير الإنسان الذي كرمه الله بالخلافة، وحمله في البر والبحر، حيث يقول:

أيّ محل أرتقي \* أيّ عظيم أتقي  
وكل ما قد خلق الله \* وما لم يخلق  
محتقر في همتي \* كشعرة في مفرقي

(قصاب، ٢٠١٢م: ٣٤)

ففي قول الشاعر تجاوز مرفوض باحتقاره ما خلق الله عز وجل من الأنبياء والملائكة والصالحين والملوك والجبارين، وهو من خلق الله، الذي جميعه عنده كشعرة في مفرقه. هذا وللأديب المسلم تصوير ما يعترض على الإنسان من الأفراح، والأحزان، ومعاملته مع الآخرين من أهله وأصدقائه وجيرانه، لكن بشرط أن ينطلق من التصور الإسلامي أو ألا يصادمه.

### التصور الإسلامي للكون والحياة

الكون هو العالم وآية من آيات الله الكبرى، وصورة من صور قدرته العظمى، وشاهد على وجود الله سبحانه وتعالى وقدرته وفضله على عباده، وقد سخره الله لخدمة الإنسان وإمداده بمعطيات الحياة ولذاتها.

والحياة هي الواقع بمعناها الأوسع، وتعني كل ما يتعلق بحركة الإنسان والمجتمع من حرية واستخلاف وأخوة وإنسانية ونشر الدعوة وتحرير البشر من الاستبداد والطغيان والقهر. وترتبط الحياة بالكون ارتباطاً وثيقاً، لأن الكون مجال الحياة، والطرفان يتفاعلان ويتكاملان، فلا كون دون الحياة تبرزه وتعلن عن وجوده، وكذلك لا حياة ممكنة خارج الكون الذي فيه عناصر الحياة واستمراره. والعلاقة بين الحياة والكون في التصور الإسلامي تقوم على الصداقة والتعاطف والصفاء، لا على الخصومة والقهر والبغضاء (القاعود، ٢٠٠٧ م: ١٨٧).

وقد صور الأدباء الإسلاميون كثيراً من جوانب الكون والحياة في أعمالهم الأدبية ما يظهر القدرة الإلهية المطلقة، وتسخير الله تعالى ما في الكون من شمس وقمر وبحار

وجبال وأنهار وطيور وحيوان وحشرات لخدمة حياة الإنسان، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿الْمَرْتَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ \* لقمان: ٢٠، فالكون من وجهة نظر الأديب المسلم من صنع الله تعالى ومن ثمرة مشيئته، كما يبدو في أبيات الشاعر محمد الحليوي التونسي:

ربّ، يا من خلقت هذا الوجود \* عالما رائعا وفنا مجيدا  
أنت ربّي أخذته من هباء \* ثم أخرجته قويا عنيدا  
قلت كنهه فكان لغزا عميقا \* وكتابا مستعجما ونشيدا

(الشنطي، ١٩٩٧م: ٨٥)

ونجد في قصيدة ابن خاتمة الأنصاري وصفا دقيقا للأكوان من حركاتها وسكناتها، وأنها كلها تشير إلى تسبيحها لله تعالى وخضوعها له، إذ يعدد طرفا من نعم الله تعالى السابغة على الإنسان والأكوان بأجمعها، تلك النعم التي تستحق الشكر والتقدير من الإنسان والأكوان كلها، سواء الناطق منها وغير الناطق، حيث يقول الشاعر:

هل تبصر الأشجار والأطيار والـ \* أزهار تلك الخافضات الأزوس  
تالله وهو أليتي وكفى به \* قسما يُفدى بره بالأنفس  
ما ذاك من سكر ولا لخلاعة \* لكن سجود مسبح ومقدّس  
شكرا لمن برأ الوجود بجلوده \* فتنى إليه الكل وجه المفلس  
رفع السماء سقفا يروق رواؤه \* ودحا بسيط الأرض أوثر مجلس  
ووشى بأنواع المحاسن هذه \* وأنار هذي بالجوار الكنس  
وأدرّ أخلاف العطاء تطولا \* وأنال فضلا من يطيع ومن يسيء  
نعم يضيّق الوصف عن إحصائها \* فل الخطيب بها لسان الأوجس  
سبحان من صدع الجميع بحمده \* وبشكره من ناطق أو أخرس  
وامتدت الأطلال ساجدة له \* بجبالها من قائم أو أقعس

(الحنين، ١٩٨٧م: ٢٥٨)

ويردد الشاعر عيسى ألبى أبو بكر آثار الشمس من نورها وطلوعها وغروبها على حياة الإنسان والكون بأجمعه قائلا:

وترى الشمس وهي تصحو من النو \* ر قبيل الصباح تحت الحجال  
تتمطى لأخذ زينتها قب \* ل طلوع على الوري بختال  
تتبدى للأفق بعد شعاع \* سابق لا يشع بالإعجال

هي في الأفق ساعة يعرف النّاء \* س بها وقتهم إلى الآجال  
 علقت في السماء نورا مضيئاً \* وفق ما جاءنا من الإنزال  
 كل هذا لدى الذي عنده الإف \* هام آيات ربنا المتعالي  
 (أبو بكر، ٢٠٠٥م: ١٢٦)

يصدر الشاعر في الأبيات السابقة من التصور الإسلامي في وصفه للشمس وآثارها من تنوير الكون وجريانها على مشيئة الله، ومنقادة لتسخير الله الخالق لكل شيء، وبها يعرف الناس عدد السنين والحساب، كما ورد في القرآن الكريم. وفوق ذلك كله فهي آية من آيات الله المعجزة المبهتة.

### العلاقة بين الجنسين

إن العلاقة بين الجنسين حقيقة لا يمكن تجاهلها، وهي حقيقة من حقائق الحياة الإنسانية، بل هذه العلاقة موجودة في حياة الكائنات الحية كلها. فعلى الأديب المسلم أن يراعي الموقف الإيجابي في تصويره للعلاقة بين الجنسين، وذلك بأن يعرض الجنسين في صورة المثل الأعلى للإنسان، ويصوره ليؤدي الدور الذي أنيط به والغاية التي خلقت من أجلها، وهي عبادة الله والخليفة لله على وجه الأرض. فكلما أراد تصوير ناحية من نواحي العلاقة بين الجنسين، فعليه أن يفعل ذلك ليظهر خضوع الجنسين لشرع الله والتمسك بالفضائل والسمو بالإنسانية، ولا يقف طويلاً في تصوير جزئيات هذه العلاقة أو يعرض مواضع الفتن فيها. وإذا احتاج إلى تصوير جانب الضعف والسلبي في العلاقة فعليه أن يصوره كحظة من لحظات ضعف الإنسان، يظهر بشاعة صنيعه ويسعى إلى انقاده من وهدهته التي ينحدر إليها، وتطوير حياته وترقيتها، ولا يصوره أنه بطولة تستحق الإعجاب والتهاتف له.

وفي القرآن الكريم نموذج راقٍ لمعالجة الجنس معالجة تفصيلية بعيدة عن الإسفاف والهبوط ومصادمة الذوق العام والآداب الاجتماعية، فقصة نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام كما وردت في القرآن الكريم قصة جنسية بكل مقومات القصة، ظهرت فيها المواقف الدرامية وعنصر التشويق والمتابعة، ثم الانتصار لفضائل الإنسان وقوة الروح في النهاية، حتى امرأة العزيز الخاطئة انتصرت فيها قوى الخير عادت إلى رشدها (القاعود، ٢٠٠٧ م: ١٨٢).

وقصة فتاة راقصة من قصص مصطفى صادق الرافعي تعتبر قصة جنسية متعففة، التي ظهرت الفتاة مضطرة إلى اتخاذ الرقص حرفة تعيش عليه، حين عجزت أن تجد

سبيلا آخر لسد رمقها، لكن قلبها مليء بالحزن والخيبة، وكذلك مطمئن بالإيمان، فكلما تركت المسرح وخلعت ملابس الرقص رجعت إلى وعيها وإلى شخصية معتدلة، تبدو عليها أمارات الوقار والسكينة والهيبة. وإذا راودها رجل وأراد الاعتداء على شخصيتها تصفعه وتخجله بقولها المشهور: «أما تعرف يا سيدي أنني أصلي وأقول: الله أكبر، فهل أنت أكبر...؟ أقيم لك البرهان على صغارك وحقارتك، أنادي الشرطي...؟» (الرافعي، ٢٠٠٧ م: ٣٠١).

ففي القصة جوانب الفتن المتمثلة في عرض الشابة على المسرح راقصة على مرأى من الرجال، وعليها ملابس الرقص الفاتنة الساحرة التي عادة تكون من مما يخلب العقول ويغري الرجال ويدغدغ في الشعور، لكن الفتاة بعد ترك المسرح تنقلب إلى عابدة واعية ومعتدلة وملقنة الدروس للرجال الذين انقادوا للشيطان وأوليائه واتبعوا الفواحش والشهوات بلا رادع.

وعلاقة الحب بين الجنسين من المجالات التي يجب أن يلتزم فيها الأديب المسلم بتعاليم الإسلام، بحيث يظهر العلاقة بينها علاقة نقية طاهرة، ويجعلها وسيلة إلى تحقيق غاية من غايات خلق الإنسان وكونه خليفة الله على الأرض، وهذه الغاية هي عمران الحياة واستمرارها. وإذا تغزل الشاعر المسلم بامرأة، فينبغي أن يخرج غزله في صورة نقية لا فحش فيه ولا عصيان، يقصد بغزله تحقيق غاية التزاوج بين المحبين في ظلال الفضائل والعفة. ومن الغزل العفيف الذي يصون العرض ويتسم بالالتزام الإسلامي ما نجده بارزا لدى ابن خاتمة الأنصاري حين تغزل قائلاً:

زارت على حذر من الرقباء \* والليل ملتف بفضل رداء  
تصل الدجى بسواد فرع فاحم \* لتزيد ظلماء إلى ظلماء  
فوشى بها من وجهها وحليها \* بدر الدجى وكواكب الجوزاء  
أهلا بزائرة على خطر السرى \* ما كنت أرجوها ليوم لقاء  
أقسمت لولا عفة عذرية \* وتقى عليّ له رقيب رائى  
لنقعت غلة لوعتي برضاها \* ونضحت ورد خدودها ببيكائي

(الحنين، ١٩٨٧ م: ٢٥٢)

فهذه الأبيات تصور العلاقة بين المحبين تصويراً جميلاً، لكن في ثوب النقاء والنظيف خالياً عن الفحش وإظهار المفاتن، حيث كانت تقوى الله رقيباً على الشاعر، فاتصف بالعفة والترفع عن الوقوع فيما ذكر في البيت الأخير.

وفي قصيدة عيسى ألبى أبو بكر بعنوان: "المرأة" نجد الالتزام الإسلامي في وصف الشاعر الجانب السلبي في المرأة، من كونها فتنة للناس، واعتبارها كسهم من سهام إبليس، وهي كثيرا ما تجرّ صاحبها إلى معصية الله، والميل عن جادة الطريق بجمالها الفاتن، وأن كيدها عظيم، يقع فريستها عالم وجاهل، وعابد وفاسق، وهي سر الله في أرضه، يقول الشاعر:

أنت يا مرأة نور أم ظلام \* لوثة الأعصر أم ربّة طهر؟  
 لفحة النَّار إذا ما ذقت ظلما \* أم نعيم الخلد في طيب ويسر؟  
 أخت إبليس الذي يغري الورى \* بتعاطي الفحش والشر بمكر؟  
 أخت هارون الذي ينهى الورى \* عن فجور وهو معروف ببر؟  
 أهدعت الشيخ في أكل الحرا \* م لماذا العصى في أول الأمر؟  
 أم غررت العبد في خلوته \* فعصى الله لحسن نيّر؟  
 أم هو إدراك للجنس الذي \* دبّ في الأنفس في سابق الدهر؟  
 قد حباك الله حسنا فاتنا \* يأخذ الألباب في سرّ وجهه  
 أنت سر الله في عالمه \* مصدر الإلهام في شعر ونثر

(أبو بكر، ٢٠٠٥ م: ١٨٣)

ومن الغزل العفيف الذي يبدو فيه الالتزام الإسلامي حوار الشاعر عبد العزيز آل مبارك مع حبيبته من خلال تغزله بها:

وشكوت من أرقى لها وصبايتي \* قالت: وهل من شاهد لك حاضر  
 قلت: الدجى، قالت: جميع قضاتنا \* لا يقبلون شهادة من كافر  
 قالت: وما لك دمع عينك جامد \* قل لي، وما للجسم ليس بضائر  
 إني كتمت هواك حتى ما درى \* سمعي ولا بصري بما في خاطري  
 قالت: وقد عجبت لحسن مقالتي \* لله درك من فقيه شاعر

(النحنين، ١٩٨٧ م: ٢٥٣).

انظر إلى العفة في الحوار بين المحبين، وإلى الالتزام الإسلامي في العلاقة بينهما، فحب الشاعر للحبيبة مكتوم حتى لم يشعر به سمعه وبصره، وكذلك لم يقع نفسه في الورطة، ولا في الضجر نتيجة الحب، وليس عليه شاهد من آثار الدمع على خده أو ظهور الضنى على جسمه، بل ظل حبه لها مكتوما في خاطره.

أما الغزل الصريح الذي يدعو إلى الفحش ويصور متعة جسدية فبعيد عن الالتزام الإسلامي، مثل ما نجد في قول بشار بن برد:

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم \* ما في التلاقي ولا في قبلة حرج  
من راقب الناس لم يظفر بحاجته \* وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

(عبد الله، ١٩٩٦ م: ١٢٣)

فالشاعر في البيتين يحاول بكل قوة تبرير المعصية، فيحل القبلة ويغري باختطاف اللذات الجسدية، ولا يرى إثما في اللقاء والخلوة مع من تهوى نفسه. فالحياة عنده استمتاع وهجوم على هذا الاستمتاع.

### الخاتمة

وأخيرا نثبت أن الأديب المسلم كغيره من المسلمين مكلف ومسئول عن أعماله وتصرفاته، يحمل تبعه أعماله بنفسه، له ما كسب وعليه ما اكتسب، وإنتاجه الأدبي جزء من أعماله التي يثاب عليها أو يعاقب، وربما يتضاعف جزاء عمله الأدبي باعتبار أن الأدب يؤثر في نفوس الآخرين، وقد يقودهم إلى عمل، خيرا كان أو شرا، فيكون له مثل جزاءهم دونما نقص من أجورهم، فيجب عليه أن يكون ملتزما بالإسلام في كل ما يقول أو يكتب عن الخالق سبحانه وتعالى أو عن خلقه، وأن يجعل أدبه في بناء المجتمع المثالي الخالد مجده، وألا يغر نفسه بحرية مزعومة للأديب أو ينجرف فيما خاض فيه بعض الأدباء المسلمين غير ملتزمين بالإسلام، مخالفين التصور الإسلامي عند تعبير عن الخالق أو مخلوقاته كما شاهدنا في الصفحات السابقة.

### المراجع

- Abu Bakr, Isa, Albi. 2005 M. *Ar-Riyadh*. Ilorin, Nigeria: Mathba'ah Albi.
- Abdullah, Ya'qub al-Hajj. 1996 M. *Al-Malamih al-Jahiliyat fi al-Adab al-'Abbasiy*. Bahs Linayl Darajat al-Majistir fi Qism al-Adyan, Jami'at Ilorin.
- Abdullah, Ya'qub al-Hajj. 2017. Al-Qisasun Nabawiyyah Namuzajun li Iltazamil Islami fi al-Adab. In *International Journal of Multi-disciplinary Studies*. Umar Musa Yar'adua University, Katsina, Nigeria. (9) 1. pp. 178-185.
- Al-'Aqqad, 'Abbas Mahmud. (D.T) *Abu al-'Ala' al-Ma'ri*. Mishr: Dar al-Hilal.



- Al-Basha, Abdurrahman Ra'fat. 1985 M. *Nahwa madzhab Islamiy fi an-Naqdi wa al-Adab*. Ar-Riyadh: Mathabi' Jami'ah al-Imam Muhammad bin Sa'ud al-Islamiyah.
- Brighsy, Muhammad Hasan. 1997 M. *Al-Adab al-Islami, Ushuluhu wa Simatuhu*. T 3. Beirut: Muassasah ar-Risalah.
- Dhaif, Syauqi. 1987M. *Tarikh al-Adab al-'Arabiy fi al-'Ashr al-'Abbasiy al-Awwal*, T7, Mishr: Dar al-Ma'arif.
- Hani', al-Hasan, Abu Nuwas. (D.T). *Diwan Abi Nuwas*. Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi.
- Hilal, Muhamad Ghanimi. (D.T). *An-Naqd al-Adabiy al-Hadits*. Al-Qahirah: Dar Nahdhah Mishr li Tab'ah wa an-Nasyr.
- Al-Iskandariy, Ahmad wa Anani Mushtafa. 1961 M. *Al-Wasith fi al-Adab al-'Arabiy wa Tarikhihi*. T17. Mesir: Dar al-Ma'arif.
- Ar-Rafi'i, Musthafa Shadiq. 2007 M. *Wahyu al-Qalam*. Al-Juz'u al-Awwal. al-Qahirah: Dar Ibn al-Haitsam.
- Ar-Rabi'i, Mahmud. 1968 M. *Fi Naqdi asy-Syi'ri*. Mishr: Dar al-Ma'arif.
- Syurad, Shaltagh Abud. 1989 M. *Al-Adab al-Islamiy wa al-Iltizam*. Mudzakarrah Muqadimat fi Silsilat Muhadharat al-Adab al-Islamiy bi Jami'aty Bayru, Kanu.
- Asy-Syintiy, Muhammad Shalih. 2005 M. *Fi al-Adab al-Islamiy Qadhayahu wa Fununuhu wa Namadhij Minhu*. T.2, Hail: Dar al-Andalus lin-Nashr wa at-Tawzi'.
- Qasab, Walid. 2012 M. Al-Mauqif al-Islamiy wa al-Khuluqiy lin-Nuqqad al-'Arab min Ba'dh asy Syu'ara' as Safahi. in *Majalat Rabithat al-Adab al-Islamiy al-'Alamiyah*. Al 'Adad (73).pp28-37.
- Al-Qa'ud, Hilmi Mahmud. 2007 M. *Al Adab al Islamiy al fikrah Wa at-Tathbiq*. T.1. Ar-Riyadh: Dar an-Nashr ad-Duwali.
- Al Kaylani, Najib. 1987 M. *Madkhal ila al Adab al Islamiy*. T.1. Qathar: Matabi' ad-Dawhah wa al-Haditsah.
- Al-Mu'taz, Abdullah. (D.T). *Thabaqat asy-Syu'ara'*. T.3. Mishr: Dar al-Ma'arif.

Al Ma'ri, Abu al-'Ala'. 1961 M. *Al-luzumiyat*. Al-Mujallad al-Awwal. Beirut: Dar Shadir lit-Thiba'ah wa an-Nasyr.

Al Mishr, Ibn Manzur. (D.T). *Abu Nuwas fi Tarikhihi wa Syi'rihi wa Mabadzilihi wa Absihi wa Majunihi*. Beirut: Dar al-Jayl.

An-Nahnain, Nashir bin Abdurrahman.1987 M. *Al-Iltizam al-Islamiy fi as-Syi'r*. T.1. Ar-Riyadh: Dar al-Ashalah li Tsaqafat wa an-Nasyr wa al-I'lam.